النقد

الينبوع

للدكتور أحمد زكى أبو شادى

من جد الحياة أن نضحك . ومن جد الحياة أن نعمل ونشقى ، وبين الضحك والعمل ، تنساب الأيام وتتراكم الاعوام ، ويفنى قديم ويعيش جديد ، ويقضى قوم وينشأ آخرون .

ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه فى وقت ضحكه ، ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه فى وقت عمله ، وأن يصور خلجات قلبه القلب ، وجموح نفسه الوثابة ، ومطامع روحه الهائجة ، أو تمثل حياتنا التى هى مسرح نضال بين عواطفنا وعقولنا .

فنحن أمام عمل لذيذ مفرح ، تتمثل فيه الماضى ، ونرسم صورته الحائلة بصورة لماعة رائعة ، ونخلد فيه ذلك الشبح الباهت بطيف براق فاتن . فيه سحر الحياة وفتونها ، وفيه غموضها وأسرارها ، وفيه جمالها وبهاؤها ، وفيه موسيقاها المترنة ، وأنغامها المتناسقة . انا نخلق من الفنام نوراً ، ومن الموات حياة ، أو ننتج نتاجا فنيا .

انا نشيد هذه العواطف والاحساسات ، التى أوحت بها الينا الحياة ، والتى صبغها الأسى بلونه الأحمر الدامى ، أو أيقظها الأمل بعطره وشـــذاه ، أو حركها الأباء والشمم ، والغيظ والشفقة ، والغضب والرحمة ، تلك العواطف التى تتلاعب بعقولنا وأرواحنا ، والتى تتحدى دائرة ، سمها إن شئت حياة . وإن شئت لحركة الكون .

والفنان إنما خلق ليسجل هذا الشعور الذى يصور وحدة الكون ، ولا يستطيع تسجيلها إلا إذا أحس بالكون ذاته ، ولا يستطيع أن يحس بالكون الا إذا كان ذا نفس صافية ، تنطبع عليها المشاهد ، وتظهر على صفحتها الرؤى ، وقد تتشابك بعضها ببعض . وقد ترتبط بروح واحد هو روح التناسب . فهى كالنغمة الموسيقية ، مترابطة مؤتلفة مترنة .

وعمل الفنان فى هذا المجال . هو أن يقف أمام دولاب الزمن الذى يدعس كل شىء فيتشكل من تحته رؤى ومشاهد . وعواطف وإحساسات ، ونوعا من الشعور المبهم الغامض . ونوعا من الادراك الناقص . أجدر بها أن تبقى لانها تمثلنا . لانها قريبة منا شديدة الصلة بنا . انا نحتفظ بها لنبقى نحن . فهى تخلدنا ونحن نخلدها فنشعر بها فى أدمغتنا ، ثم نصورها بألفاظنا وكلماتنا . فنحس أنها قد أتت بسامة فاتنة . ونحس بنورها المشرق على نفوسنا فيبعث مواتها . ويحيى رميمها ، وقد لا نرسمها بالكلمات ، فان اللغات أضيق من أن تشرح ما فى النفوس ، قد تستعين بالرسم أو النقش أو الموسيقى أو غير ذلك ، فعملنا فى سبيل احيائها ورسمها هو الفن وجزاؤنا منها هو الخلود

فهل الفن الذى يتنفس عنه رجال الفنون فى بلادنا من هذا القبيل ؟

وهل لى أن أقول وأسأل عن الشعر الذى يفيض من قرائح شعراء الزمن أيكون تلك الاداة المادية التى تصور تلك الصور الفتانة التى تمتلك علينا تفكيرنا . وتستبد بنفوسنا ؛ أو تلك العواطف المتبدلة المتغيرة التى تستنفد حياتنا ،

أيكون تلك الأداة المادية التى لها موسيقاها وتوقيعها ، والتى نسعى لأن نظهر لعيوننا نوعا من الشعور الغامض والأدراك الناقص ، لا يدركه الا القلب الشعرى الذى يستمد قوته من الالهام والعلم

من هذا يستطيع المرء أن يكون فكرة عامة عن دقة هذا الفن ، فن التكر ، وعن العناية التى يتطلبها العمل المسرحى من الممثل حتى يستطيع أن يصور على وجهه الوجه الآخر ، وجه الشخصية التى يتقمصها ويؤديها أمام النظارة . ونستطيع بعد هذا أن نتحدث عن فن التكر من الناحية الفنية العملية مستعينين فى ذلك ببعض الصور والرسوم التى تشرح ما نقول ؟

محمد على حماد

والعقل والخيال ، كأنه ادراك شامل لما تحويه لحظة من لحظات النعيم أو الشقاء ، وبأبراز هذا الشعور الغامض وهذا الادراك الناقص ، فى صورة واضحة ناطقة ، تامة كاملة ، فيها حياة وفيها حركة

واذا كان الشعر العصرى كما يقول الدكتور ابو شادى فى مقدمة ينبوعه (هو لسان حياة العصر ، والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضى ، وذات تطلع الى المستقبل ، فليس غريبا فى الثورة الروحية والفكرية الحاضرة أن يأتى هذا الشعر مزيجا متنوعا ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم الأدبى بأسره) ويضرب على ذلك المثل بالشاعر الألمانى العظيم هين Heinriet Heine ، أنا لانجاريه فى قوله ولا نجاريه فى استشهاده بالشاعر الألمانى العظيم ، فبينما يشرح ذلك الألمانى النبيل عواطفه المتدفقة فى نفسه ، او يشرح نفسه الواسعة الفياضة ، بأنواع من النظم ، نرى الدكتور ، لا يرتفع فى شعره عن أن ينظم فى بعض مناسبات خاصة . وفرق كبير جـــداً بين هذا الشعر الذى يكاد يكون ، شعرا صحفيا ، وبين شعر هين المختلف المتناسق ، الذى نرى اختلافه فى اغراضه وسعتها ، والذى تراه يتناسق فى الصفات الأولى ، التى تتصف بها نفس ذلك الشاعر العبقرى ، اما أن يجد الدكتور احمد زكى ابو شادى حجة على الناس فى مناسباته التى صاغ كل شعره من أجلها فهذه حجة غير واردة كما يقول رجال القانون فى بلادنا ، ولا أدرى أن كانوا يقولون كذلك فى مصر

وانا عالم كل العلم بان أهواى تـــد لاتفيد مع الدكتور الشاعر ، لانه قد قطع على الطريق فى مقدمة ديوانه فقال (واذا كنت أؤمن ايمانا عميقا ، بأن الفنون الجميلة من أقوى عوامل السلام ورسول الانسانية المشتركة . فلست اعنى بذلك ان تقديرها شامل فى الظروف الحاضرة . فكم تتباين الاذواق ، وعلى حد تعبير (برنز لاهو برمان) ، لا يرتقب أن يجيد عزف موسيقى يتهوفن اجادة المتذوق المعجب بها ، من ليست لديه اثارة من عواطف يتهوفن ، وكذلك شأن الشعر وغيره من الفنون الجميلة)

والاستاذ ابو شادى يشير الى انه (ليس محتوما على غير مريديها — أى أشعاره — ان يطلعوا عليها حتى أكون معرضا لمؤاخذتهم اياى)

والشاعر يحدث الناس فى صراحة مابعدها صراحة فيقول (نوازع وجدانية ، صوفية تحبب ذلك الى — أى نشر اشعاره — كأنما انا مكلف برسالة أؤديها)

وأبو شادى يقول ، ان الشاعر ككل فنان يعمل على تخليد صور الحياة الفانية ، وذكرياتها فى النسق الذى يستطيع به استرجاعها لروحه العالمية »

وانا متفق مع الدكتور فى هذه الفكرة الى أبعد حد ، مؤمن بالنوازع الوجدانية الصوفية التى تحفز الشاعر العبقرى على أذاعة بنات شعره ، ولكننى اكاد اكون كافراً بفكرته الأخرى فكرة النقد وأطلاع الناس على الشعر .

ان هذا الشعر الذى نشره صاحبه قد خرج من يده وأصبح ملكا للناس ، لقد تنازل لهم الشاعر عنه ، فسيقرأون وسيفهمون ، وقد لايفهمون كثيراً ، وسيؤخذون وينقدون ، فما دخل الشاعر هنا ، لقد صار هذا الكلام فى حكم التاريخ وسيتكلم الناس عنه بما يرضى صاحبه وبما يكره

وأنا باسم هذا الحق المكتسب قد استعرضت الكتاب ، ووقفت على مقدمته ، وبعد ان قرأت الينبوع من الجلد الى الجلد بما فيه من مقدمة وتصدير وألمامة ، ودراسات مختلفة . وبما فيه من شعر أختلفت الوانه ، وتباينت أمزجته . ، وبعد ان انعمت النظر بما فيه من صور جميلة ملونة تستهوى كثيرا من الناس ، وأنعمت النظر مرة أخرى فى عنوان الكتاب ، وصورته الفنية التى تزين غلافه . آمنت بفكرة واحدة ، جسمتها فى ذهنى قراءة ديوان ابى شادى الجديد .

آمنت ان من النادر ان ينتج الانسان كما يتصور الانتاج ، وأخذت أطبق هذا الحدس على نفسى . هل الشعر الذى انظم عقوده ، يوافق ماأريد ان أفهم من الشعر ، ثم رجعت أسأل مرة أخرى ، ألا يخطىء الانسان فى تصوير الصورة التى تقوم فى ذهنه ، ومن ثم سألت نفسى ، هل الشعر الذى يفيض من ينبوع ابى شادى يشبه فى شىء الشعر الذى يشير اليه فى مقدمته ؟؟

وأنا حائر بين الفكرتين . اوانا أومن بأن لأبى شادى أكثر من شخصية واحدة فى الشعر ، كما أن له أكثر من شخصية فى مناحى الحياة ، فقد يكون من الوجهة الشعرية ، نظرياً وعملياً ، وعمله لاينفق مع نظرياته ، كما أنه فى الاعمال لايتمسك بمبدأ او فكرة واحدة ، فهو طبيعى وشاعر يحرر وينشر ويقرأ ويطالع ويهتم بالوظيفة والنظم وتربية الحيوان ، وأكاد أتمثله بصورته الرمزية ، والجاهزة أمامه والمبضع فى يد والريشة فى أخرى والآلة الموسيقية الى جانبه ، وفتاة الالهام تنضو عليه ، والنحل من حوله وله أزيز وطنين ،

ويتمثل أمامي وعيناه في الافق البعيد واحدة تنظر الى الشرق ولا ترتفع عن الشرق . وواحدة في الغرب تذهب بنظرها عنه ثم تعود اليه كأنها أبصرت ما يريبها ، ولسانه يردد بين هذه النظرات الحائرة شعره المتقن الموزون ، هو ناظر الى آبللوخياً ، وشاخص ببصره الى عمرو بن كلثوم يردد معه اقوالا تشبه قوله :

قفي قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين ونخبرينا

وانا شاك في أن يكون أبو شادي مجدداً ملتوى التجديد ، لقد وقف على أدب الغرب ما في ذلك شك . وعرف من أدب الغرب كل غث وسمين ، فما له قد ضيق على نفسه كل هذا التضييق وهو يحاول بين هذا العسر وذاك ، أن يضع لنفسه مزاجا خاصاً . يتمثل لك فتكاد تنفر منه . لضعفه في التعبير ، وتقصيره في التصوير . ثم هو لا شيء من وجهة التفكير .

أقرأ معي الينبوع وهي قطعة من الديوان سمى الديوان باسمها يتمثلها في صورة (سكس ايسل) اقرأها جملة . فاذا ترى ... أنا لا أرى فيها نظرة صوفية ، ولا أفهم منها فكرة فلسفية عميقة ، ، هي فكرة عادية بسيطة ، من الفكر التي يسميها (بول فاليري) فكرة غير شعرية ، . وهي بعد هذا كله ، شهوانية مفرطة في الشهوة ، تتمثل في بطن أملس ، إنتصب فوقه جبلان وفي أسفله واد عميق ، ربما كانت الفكرة طيبة ، ربما كانت تهم علما . الغريزة ، ربما كانت تهم رجال النفس ، ولكن المادة الصرف ، المادة المنتجة الملموسة ، المادة التي تشبع شهوة الجسم ، أو التي تنتج الجسم ، المادة التي لا روح فيها . هذه المادة النجسة التي ترى في كثير من النساء ، قد لا تعجب ذا النفس الشاعرة ، وقد لا تروق في عينيه كثيرا .

وأعوذ بالله أن أكون كمن حاول عزف مقطوعة ليتهوفن فما استطاع لأنه لم يتأثر بالمؤثرات التي دفعت بتهوفن الى تأليف قطعته . او ان يكون الدكتور كذلك المصور الذي أتيت اليه ليرسمني فشوهني ، فلما عاتبته في ذلك . قال هذا تصوير في Astistujue وأنا أعوذ بالله من أن يكون كلامي لغواً من ناشيء أرعن ، يقلق على الدكتور صفاء نفسه . وما عرفته وغيره من اخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك . ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع .

وأنا بعد هذا الذي قدمت أسأل نفسي . اذا كنت على اتفاق والدكتور من حيث النظرة الى الشعر كفن من الفنون العالية ، أفلا يجدر بي أن أتفق معه على اللغة التي يدون بها هذا الشعر ؟ ألا يصدق معي الدكتور أن العلة هي اللغة التي يشتكي منها الشعراء ، فهي التي تؤلمهم عند التعبير ، وتضيق عنهم أو يضيقون بها عند التصوير ، فيداورونها ويتلاعبون بها حتى تأتي طيعة راضية لا تحس فيها ضعفاً ، وهل يرى الدكتور معي أن لغته في شعره ، أبسط من أن تسمى لغة شعرية ، بل أكاد أحس بضعفها في كل بيت من أبيات الينبوع التي تبلغ الى بيت ونيفا

ألتمس من الدكتور ، أن يقرأ معي قطعة أخرى أو قطعتين . وقمت يدي الآن عليهما من غير تفتيش أو تنقيب . الأولى دنيال في جب الأسود . اقرأ هذا البيت وافهم منه شيئا :

جعلوا المليك محرماً لنوى المليك دعا المسود

أظن أن في هذا الكلام ركاكة وتعقيدا . وأظن أن الزمن ليس زمن عبد القاهر الجرجاني . لنعيد النظر في بيت الشعر والناظه ، ولكننا نقول : ان ضعف هذا البيت وغيره من ابيات هذه القطعة أظهر من أن يظهر

بل ما تقول في هذا البيت الهزيل من القطعة ذاتها . وكثير على شاكلته ؟

أنا في أمان يا مليك بفضل ربي من ملك

اندري أية مناسبة بين حكمة من ملك ومليك . ما الذي هزها . فأتت مختالة تضع نفسها في آخر البيت لتكمل القافية

أو قوله في قصيدة العودة صفحة (٣٠)

وقفنا في جو ارالي سكرى كسكر الناظرين الى الرحيق

نرى في البر الوان التناجي وفي البحر المشارف والعميق

البحر المشارف والعميق ، وسكر الناظرين الى الرحيق ، لا يكملها الا قوله

وأبنا أوبة الحزون لكن بنا طرب من الادب العتيق

أو قوله :

وتمضي الغانيات على تئن تئني النور في الجو الصفيق

الحق أن الجو الصفيق والادب العتيق . والبحر المشارف والعميق والرحيق اذا زف بعضها الى بعض خرج شيء ليس في الحسبان هو قصيدة العودة

أنا لاأريد ان أذهب الى كثير من شعر الديوان ، فبعض يجزى عن بعض ، بل لا أريد أن أطيل الحوار فى قضية يراها الدكتور قضية ذوق ، وانا اراها قضية أدبية عربية ، تهم الناطقين بالضاد جميعا ، فما كانت الكلمات تلاعب بالشاعر ، فتسخره ولا يسخرها ، وأنا أومن ايمانا واثقا أن كلمات الشعر يجب أن تكون كالكلام المنزل ، لو رفعت كلمة من بيت فلن تجد فى اللغة بأجمعها كلمة تحل مكانها وتؤدى المعنى الذى كانت تؤديه الاولى ، بل انا أفرق كثيراً من ان توضع الكلمة فى غير موضعها فيبخس حقها ، ويبخس المعنى حقه بل ما رأى الدكتور فى قرط جميل من الماس إلفاخر تعلقه أنثى فى اسفل ذقنها ؟ انها تشوه جمالها ، ويضيع قدر الماس الثمين ، فالدكتور يسوق الكلام فى مواضعه وفى غير مواضعه ، بل ما يلجئه الى كثرة الانتاج هذه ، والقليل الناضج خير من الكثير الفج ، وأنا أرجو أن أكون مخلصاً كل الاخلاص فى قولى ، جريئاً كل الجرأة فى تعبيرى ، فقد كفى هـــذا التبلبل فى الادب العربى ، ينهض ولكن ليقعد ، ويسير ولكن الى الوراء ، ينتج الأديب او الشاعر ، ويظن انه فوق النقد ، ولو عرف أن النقد سيتناوله فى عنف وفى قسوة ما أنتج انتاجا كهذا ، ولحاول ان يكون مدققاً أكثر مما دقق .

حلب (المرتينى)

كتاب :

توفيق الحكيم

الجـــديد

شـــهرزاد

« انا كل ما كان ، كل ما يكون ، كل ما سيكون

فناعى لم يكشفه بعد إنسان »

ثمن النسخة ١٠ قروش

يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد على بمصر

كرستينا ملكة السويد

بقية المنشور على صفحة ٥٦٤

فكانوا يرجون — ويلحون فى الرجاء — أن تتخذ لها شريكا فى حياتها . وكان حديث الزواج هذا أبغض الاشياء اليها ، ولم يكن نفورها من الزواج عن تعفف ، بل لانها كانت ترى فى الزواج أغلالا تكبح جماحها ، وتثنى من عنانها ، وهى التى تريد أن تبقى حرة طليقة . فلما اشتد الحاح رجال القصر عليها . طلبت من البرلمان أن يكون ابن عمها شارل جستاف هو وارث العرش من بعدها .

***

وفى عام ١٦٥٤ — ولم تكد كرستينا أن تبلغ الثامنة والعشرين تنفس شعبها الصعداء ، لأن ملكتهم قد اعتزلت الملك وغادرت البلاد ، وليس من السهل أن نقدر الدافع الاكبر الذى دفعها الى سلوك هذا السبيل ، فقد كانت هنالك بواعث شتى تعتلج فى صدرها ، فمن شعب مضطرب ثائر على تبذير ملكته ، إلى بغض شديد لتلك التكاليف المضنية التى يستلزمها الاضطلاع بالحكم ، الى رغبة شديدة كانت تدفعها لأن تعيش فى جنوب اوربا ، وأن تعتنق الدين الكاثوليكى . ولعل أقوى دافع لها الى اعتزال الملك أنها كانت تريد أن تبهر ملوك العالم حين يرون ملكة فى ريعان الشباب تنزع عن جبينها التاج وتلقى به فى ازدراء واحتقار .

وقد تم لها ما ارادت ، فغادرت وطنها ، ومعها ثروة حسنة لم تلبث أن أتت عليها ، واعتنقت دين الكاثوليك . واتخذت لها فى روما قصرا عاشت فيه زمنا عيش الاسراف الذى لا يعرف حدا . وزارت فرنسا مرتين ، وفى المرة الثانية أدهشت وأغضبت ولا فالامور حين أمرت برجالها بقتل عشيقها مونالديسكى . فاضطروها الى مغادرة فرنسا والعودة الى روما .

لقد كانت المقادير أرحم بكرستينا والطف ، لو أنها وافتها منيتها بعد أن نزلت روما ، وبعد أن نفدت ثروتها ، لكن الاجل قد تراخى بها حتى بلغت الستين ، وكان الشطر الاخير من حياتها مفعما بالألم والشقاء . وعادت الى وطنها حين بلغت الاربعين تحاول عبثا أن تسترد الملك فلم تلق سوى الاعراض والنفور . ورجعت الى روما حيث قضت بقية العمر ، وقد نسيها العالم وأهملها الناس ، وظلت تعيش عيشة الضنك والضيق ، وجل رزقها مما يجود به عليها البابا من الهبات حين امتنعت عنها الموارد وتقطعت بها الأسباب .

محمد عوض محمد